

هل للمعرفة طريق باطنية ؟

للاستاذ الفيلسوف فريد بك وجدى

كتبنا فى الجزء الأول من هذه المجلة النافعة مقالا تحت عنوان « مسألة المعرفة » وقد عالجانها على الأسلوب الفلسفى المقرر، ولكن هذا الموضوع أثار لدينا مسألة أخرى ، وهى هل للمعرفة طريق غير طريق الحواس الخمس ؟ وبعبارة أخرى هل تصل للإنسان معارف من طريق باطنى غير الطريق الخارجى المعروف ؟

اختلف الفلاسفة قديماً وحديثاً فى هذه المسألة على فرقتين . فقرر الماديون منهم ، بأن لا طريق للمعرفة إلا الحواس الخمس المتصلة بالعالم الخارجى وأن لا مصدر لأية معرفة غيره ، إذ لا يوجد عالم فوقه تتأدى منه معارف صحيحة ، غير الخيال البحت

وذهب الروحانيون من الفلاسفة ، إلى أن للمعرفة طريقاً باطنية أخرى ، تصل بين نفس الإنسان والعالم الروحانى ، يدركها الذين يعملون على تخلية نفوسهم من القواطع المادية ، فيحصلون من هذا الطريق على معارف قيمة تعلو عن متناول سواهم من الواقفين مع الظواهر ، ومن هذا القبيل معارف الأنبياء والمرسلين ، ومن اتبع تعاليمهم من المتصوفة والمنتبئين ، وقد غصت بها تواريخ الشعوب ، بل قامت عليها فرق ومذاهب ، لا تزال تتوزع النوع البشرى بأسره إلى اليوم .

هذه المسألة تتصل بمسألة الوحي وما إليه ، ولسنا هنا بسبيل إثبات صحته ، فالكلام فيه يتشعب ويطول ، ولكننا بسبيل البحث عن مسألة الطريق الباطنى للمعرفة من ناحية صحتها أو بطلانها ، وكذلك نقصر الكلام عليها فقول : أصبحت الطريق الباطنية للمعرفة ، بعد اكتشاف النوم المغناطيسى ،

من الأمور التي يمكن الاستدلال عليها ، بالتجربة على الأسلوب العملي البحث ، فكلنا يعرف ما يردده علماء النفس والباحثون في النوم المغناطيسي ، من كلمة العقل الباطني ، فقد أصبح هذا العقل الباطني من الأمور المشاهدة ، إلى حد أن إنكارها أصبح مما لا يطمع الماديون فيه ، فكيف نرى هذا العقل الباطني وما هو في حقيقته ؟

أما كيف نراه فرويته من أيسر الأمور وذلك أن ينوم أمامك أي إنسان فتجده عند ماتتعطل حواسه العادية ويقع في النوم فعلا ، قد تقمص شخصية أرقى من شخصيته ، شخصية عاقلة رزينة ، واعية لتفصيلات تاريخه الماضي ، بحيث لا يغيب عنها أدق دقيق منها ، وإذا بحثت في خصائص هذه الشخصية من قرب ، وجدت أنها هي التي تدبر حركات أعضائه وأجهزته ، وترمم ما يفسد منها بآلياته بمقوماتها ، وتدبر حياته الجسدية والعقلية تدبيرا محكما وهو غافل عن ذلك يرتكب في جمحاته وإفراطاته ما يفسد نظامها ، ويفرق وحدتها ، وقد شوهد أن هذا العقل لا يتأثر من إصابات الجسد ، كما تتأثر الشخصية العادية ، فإذا أصاب أحدها مرض في بعض أجزاء مخه ، تأثرت لذلك خصائصه العقلية على نسبتها ، ولكن العقل الباطني يظل سليما في جميع أدوار الإصابات المخية ، فيبقى حافظا لجميع مميزاته ، كأنه مستقل عن الجسد استقلالا تاما ، فإذا أصاب المخ مرض فأضاع الذاكرة كلها أو بعضها ، أو فقد صاحبه القدرة على قراءة الأحرف كلها أو بعضها كما يحدث في بعض الحالات ، وأنيم هذا المصاب نوما مغناطيسيا وجدت عقله الباطني سليما حاصلا على جميع خصائصه وقد يسأل فيدل على مرض صاحبه دلالة تعلق عن متناول أدق تشخيص طبي

وقد شوهد أن لهذا العقل الباطني اتصالا بالأرواح المجردة فإذا أنمت شخصا نوما مغناطيسيا ، وسألته أن يتصل بقریب له من الذين ماتوا ، لم يتكلف لذلك كبير عناء ، ويأتيك عنه بصادق الأنباء.

ومن أغرب الأمور أن لهذا العقل الباطنى خصائص أعم من خصائص العقل العادى ، فهو يعرف كل مايجول بالعقل العادى ، ويذكر مايحصله من المعلومات ، على حين أن العقل العادى يجهل وجود العقل الباطن ، ولا يذكر من حياته الباطنية شيئاً

وقد ثبت من استقراء أحوال النفوس أن الألهامات الصالحة التى يحس بها الإنسان فى نفسه متى اعتركت فيها نزعتان : (نزعتا الخير والشر) شوهد أن مصدرها هذا العقل الباطن ، حتى ذهب بعضهم أن وحي الأنبياء هو من إلهامات عقولهم الباطنة ، وليس هنا موطن تحقيق هذا القول فدعه حتى حين من أعجب مظاهر المعرفة الحاصلة من طريق العقل الباطنى ، ما عني بجمع طائفة منه علماء كثير ون ، من أشهرهم الأستاذ الكبير فريدريك ميرس FR. MYERS مدرس علم النفس بجامعة كمبريدج فى كتابه (الشخصية الإنسانية) HUMAN PERSONALITY فقد ذكر منهم الحاسبين على البديهة ، وهم طائفة من الناس تلقى عليهم أعوص المسائل الرياضية التى تحتاج لزمن طويل فى التفكير والعمل فيجيبون عليها على الفور وهم لا يدرون كيف وجدت هذه الحلول فى نفوسهم ، فقال : كان المستر (بيدلر) يجد لو غارتم عدد مؤلف من سبعة أو ثمانية أرقام على البديهة ، أى يجد العوامل الى إذا ضرب بعضها فى بعض أنتجت مثل هذا المجموع الضخم

ونقل الأستاذ ميرس عن المطران الأنجليزى (واتلى) أن كتب عن نفسه يقول « إن فى خاصتى الحسائية شيئاً من الميزة فأنها ظهرت فى وأنا بين الخامسة والسادسة من عمرى ودامت معى ثلاث سنين ، ولما بلغت السن التى بدأت فيها الدراسة زالت هذه الخاصة منى ، فكنت فى ذلك الحين من أضعف التلاميذ فى الرياضة »

قال الأستاذ ميرس : إن حالة الأستاذ (ستافورد) أعجب مما تقدم وهو الآن أستاذ فى علم الفلك لا يعلو عن أقرانه فى الحساب العقلى ، مع أنه كان وهو فى

العاشرة من عمره يعمل غيباً وبدون أن يخطئ مسائل من الضرب حاصلها يتمكن من ٣٦ رقماً

قال وكان للبيتر (فان . ر . دوتيك) وهو في السادسة من عمره خاصة في الحساب العقلي ممتازة زالت بعد سنتين ، ولم يكن هو نفسه يدرى على أى أسلوب تسير في نفسه هذه الأعمال الحسابية

قال الأستاذ ميرس : « وكان (بوكتود) يحل مسائله وهو يتكلم حراً فيما تريد الكلام فيه مما هو خارج عن الحساب الذي ألقى إليه »
قال وحكى الرياضى المشهور (أراغو) عن نفسه فقال :

« اعتدت أنى بدلا من أن أجهد نفسى في فهم مسألة في الجلسة التى ألقىت إلى فيها كنت أسلم مؤقتاً بأنها صحيحة ، فأذا جاء اليوم التالى أدهش من فهمى كل الفهم لما كان قد ظهر لى معضلا فى اليوم السابق »

وقال ميرس وروى (كوندياك) أنه كان غالبا يجد أن عملا لم يتم بالأمس قد تم اليوم فى عقله بدون جهد منه

قال وقد روى المسيو (رينه) الشاعر للدكتور (شابانكس) بأنه قد ينام غالبا وهو يعمل قطعة من الشعر لم تتم ، فيستيقظ فيجدها تامة فى اليوم التالى عندما يفكر فيها

قال وقد كتب الشاعر المشهور (موسيه) عن نفسه يقول : « لا اعمل شيئا ولكنى أسمع فأنقل . فكأن إنسانا مجهولا يناجنى فى أذنى »
وكتب لامارتين الشاعر الفرنسى الكبير يقول : « لست أنا الذى يفكر ولكن هى أفكارى التى تفكر لى . »

قال ميرس : وكان سانت ساينس مثل سقراط يسمع بأذنيه ما تلقيه الروح إليه

وقد أثبت الباحثون فى النفس من ناحية اتصالها بالارواح المجردة ، أن هذا الاتصال ممكن حتى والإنسان فى حالته الاعتيادية ، كما يحدث من استيلاء

روح على يد إنسان والكتابة بها ، بينما يكون صاحب هذه اليد مشغولا بالكلام مع إخوانه ، وقد شهد رجال من عظماء الناس بأن لديهم هذه الخاتمة ، وقد أشهدوها لمئات من الباحثين ، فقد كان زعيم الصحافة الأنجليزمية المستر (ستيد) واحدا من هؤلاء ، ومثله الكاتب الفرنسي المشهور (ساردو) فقد كانت تستولى على بده قوة خفية لا يستطيع مقاومتها ، وتحدث صورا تعد من نوادر الفن ، على حين أنه هو نفسه في حالته الاعتيادية لا يستطيع رسم أبسط الأشياء ، وقد حفظت هذه الصور في دار الآثار الروحية ولا تزال بها إلى اليوم ، في المجمع الروحاني العلني بباريس

وقد ثبتت كل هذه الأمور ثبوتا علميا لا يدع محلا للشك في نفس أى باحث يريد الوصول إلى الحقيقة

وإذا ثبت كل هذا ، فالنتيجة المباشرة له تكون هذه : وهي إن للمعرفة طريقا باطنية غير طريق الحواس ، نستطيع أن نحصل منها النفس على معارف قد تكون أقوم مما تحصله لها المشاعر ، ويسهل من هذا الطريق فهم الوحي ، الذى كان ينزل على الأنبياء عليهم السلام ، فإنه إذا تقرر إمكان اتصال أرواح إنسانية مجردة بالشخص وإمداده بالمعلومات ، فيسهل تصور اتصال أرواح ملكية ببعض الناس ، وإمدادهم بمعارف علوية لهداية الخلق ، فيكون الأمر الذى نعيش فيه قد آتى الإنسان بدليل على النبوات من طريق الحس ، ثم يك
لآبائنا الأولين ، الذين لم تعد أدلتهم القضايا المنطقية

نكتفى هنا بهذا القدر ، في هذا الموضوع الخطير ، ولعلنا نوفق في العود إليه متى أمكنتنا منه الفرص . وبالله التوفيق ؟

محمد فريد وجدى

(المعرفة) لعل أستاذنا الجليل يتفضل علينا فيزيدنا علما بهذا البحث القيم ، حتى نستطيع تبيان الفروق بين من يرون المعرفة معلقة على الحواس ومن يرونها معلقة على النفس والروح ؟